ATLAS
אטלס
أطلس
للدراسات الإسرائيلية
Atlas Center For Israeli Studies

الرد على حرب الوكلاء

حكمة إسرائيل وقوتها بمواجهة "قوة القدس"

بقلم

آساف أوريون

مركز دراسات الأمن القومي

ترجمة

مركز أطلس للدراسات الإسرائيلية

غزة - فلسطين

برؤية منهجية، تحلل الدراسة حرب الوكلاء كجزء من التهديد الإيراني الاستراتيجي على إسرائيل، وتدرس مواجهة إسرائيل للتحدي والفجوات في هذه المواجهة، وتصف تطور نظريتها خلال المواجهات في سوريا منذ نهاية 2017، وأخيرًا تقترح إطارًا استراتيجيًا ومبادئ مركزية للحرب المتواصلة ضد إيران، والتي أساسها رؤية مجمل التهديدات من الجانب الإيراني (النووية والتقليدية) وإدارة سياسة إسرائيلية متدرجة في مواجهتها، وتبديل قواعد اللعب التي صممتها إيران لصالحها بقواعد تحددها إسرائيل، واستخلاص قدرات إسرائيل على تقليص هذا التهديد، ليس فقط في الحروب؛ وإنما وبشكل أساس في الحرب المستمرة بينهما.

على ضوء بناء نظام العدو، تقترح الدراسة ردًا يسعى إلى مواجهة منطقها الأساسي وتشويش عملها، من خلال قلقلة مراكز الثقل الحيوية فيها، وعلى رأسها "قوة القدس"، استجابة كهذه تمس ببناء وتراكم القوة والتحرك وإعادة تأهيل الوكلاء المحاربين لإسرائيل.

توطئة

في العام 1979 صعد إلى سدة الحكم في طهران نظام رجال الدين برئاسة الخميني، وسرعان ما تحولت إيران من شريكة استراتيجية إلى عدو لدود. محاربة إسرائيل والدعوة للقضاء عليها هما هدفان مهمّان للنظام من الناحية الأيديولوجية والجيو استراتيجية، الاستراتيجية الإيرانية تضم مجهودين أساسيين؛ الأول: السعي إلى السلاح النووي الذي سيشتري للنظام وسياسته الحصانة والمكانة السياسية المهيبة والنفوذ الإقليمي المتنامي، والقدرة الحقيقية على إلحاق الضرر الكبير بأعدائه، وفرض إرادته على الآخرين، والثاني: مجهود التأثير المتواصل الصبور والواسع لتجنيد الدعم وتأسيس الميليشيات ورعاية عناصر قوة يعملون كوكلاء تابعين للنظام ضد أعدائه، ومن بينهم إسرائيل؛ هذا المجهودان المتوازيان أعدا ليدعم أحدهما الآخر، فقدرات إيران ووكلائها العسكرية التقليدية يُراد منها ردع أعدائها عن مهاجمتها وقت تطويرها لقدرتها النووية وإشغالهم، بينما مكانة إيران النووية يُراد منها تمكينها من ان تنشر في المستقبل مظلة استراتيجية رادعة تظلل تحركات وكلائها وقواتها التقليدية.

على مدار سنوات، تركز اهتمام صناع السياسة في إسرائيل والعالم على الملف النووي الإيراني ولجمه، بينما تحدي الوكلاء لم يحظَ برد منهجي ومناسب. في الواقع، إسرائيل تحارب منذ أربعة عقود، وبشكل أساس، الأعداء العسكريين الذين بنتهم إيران، والذين مولوا وتزودوا بالعتاد وتدربوا وتأهلوا على يديها عن بعد، وعندما عمل وكلاؤها على إقلاق إسرائيل واستنزافها عن قرب؛ هكذا حاربت إسرائيل حزب الله في لبنان وخارجها، وحماس والجهاد الإسلامي على الساحة الفلسطينية، وكذلك حاربت وكلاء إيران الذين عملوا ضد إسرائيل من الأراضي السورية في السنوات الأخيرة.

في الفترة الأخيرة، طرأ تطور كبير على هذه الحرب، على خلفية المواجهة بين إسرائيل وإيران في سوريا. في هذه المرحلة من الحرب، ورغم أن إيران شذت قليلًا عن نهجها غير المباشر والمعروف؛ إلا ان التجديد الأساسي كان على وجه الخصوص في سلوك إسرائيل الذي يبرز تحسّنًا في فهم المشكلة الاستراتيجية ومواءمة نظرية ردها على التحدي.

إلى جانب تحليل تحدي حرب الوكلاء الإيرانية وسياسة الرد الإسرائيلي، سنقترح فيما يلي مبادئ لاستراتيجية المواجهة في المستقبل، أساسها: إدارة حرب متواصلة وعميقة ومتوازية ضد حرب الوكلاء الإيرانية، والاستعانة بمجهودات تستهدف الجهة الرئيسية التي تسمح بدورها طوال القوت: "قوة القدس" التابعة للحرس الثوري بقيادة الجنرال قاسم سليماني.

إيران ضد إسرائيل: حرب الوكلاء للاستنزاف غير المباشر

استراتيجية الحرب غير المباشرة التي تجريها إيران من خلال وكلائها تتضمن بناءً متأنيًا لقاعدة قوة سياسية عسكرية في أوساط التجمعات الشيعية أو السنية الراديكالية، وجمعها ضمن إطار "محور المقاومة" في مواجهة إسرائيل والغرب وأنظمة أخرى في المنطقة. غالبًا ما تتصل إيران بحركة محلية أصيلة وتدعمها لوقت طويل في إطار مصالح مشتركة معينة، التمويل المستمر واسع النطاق والتأهيل والتدريب العسكري والعتاد والسلاح المتطور، إلى جانب التوجيه والتوجه الديني الأيديولوجي والعسكري، بلورت بالتدريج قواعد قوة سياسية وعسكرية معروفة في أنحاء الشرق الأوسط، وعلى الحدود الإسرائيلية.

الوكلاء ولاعتباراتهم الخاصة، وبتشجيع من إيران، يضربون إسرائيل ويهاجمون مواطنيها وقواتها، ويمتصون طوال سنوات اهتمامها الأمني بالتحديات الأمنية السارية في الجبهات القريبة. أسلوب مشابه استخدمته إيران أيضًا ضد قوات الولايات المتحدة والتحالف في أفغانستان وفي العراق، وحتى ضد العربية السعودية من خلال الحوثيين في اليمن؛ منظومة الاستنزاف هذه تقوم على أساس بناء متطور، وفيه مكونات وظيفية حيوية في جبهات مختلفة وتعديلات محلية، وفي نظرة إسرائيلية من القريب إلى البعيد هذه المنظومة مبنية كالآتي:

- الوكلاء العسكريون: وهم مستخدمو القوة المباشرة في الساحات التنفيذية القريبة من إسرائيل، وكونهم المكون العسكري المتقدم في المنظومة فهم يهددون إسرائيل، ويعيقون مواردها ويهاجمونها بهدف استنزافها وإلهائها وردعها عن القيام بعمل مباشر ضد إيران. في هذا الإطار يجتمع حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي في فلسطين وحركة "الصابرين" والميليشيات الشيعية الأخرى، للكثير منها رمز تنظيمي مصمم بإيحاء من "علامة" صورية مشتركة: رمز الحرس الثوري الإيراني.

- الخلفية اللوجستية القريبة (مثل مستخدمي السلاح والمواقع الانتقالية والمخازن): تسمح بتعزيز قوة الوكلاء طوال الوقت وترميمها ما بين الحروب.

- النظام المستضيف: يتمتع في بعض الأحيان بمكانة دولية من السادة (سوريا ولبنان)، ويجري على أرضه جزء من بناء قوة الوكلاء، ومن جبهته تستخدم أحيانًا قوتها، وفي عمقه وجبهته اللوجستية القريبة.

- منظومات بناء قوة الوكلاء: تعمل من خلال تمويل وتسليح وتدريب وتأهيل واستشارة وأوامر وتوجيهات، وتضخ الموارد من الجبهة الاستراتيجية ومن الجبهة القريبة من الساحات التنفيذية. الأبرز من بين هذه المنظمات "قوة القدس" المسؤولة عن بناء قوة

الوكلاء، والتي تسمح بتسليحها وترميمها وتعزز قوتها ما بين المواجهات وطوال الوقت، "قوة القدس" بقيادة الجنرال قاسم سليماني هي أحد الأذرع الخمسة التابعة للحرس الثوري الإيراني وتقود العمليات خارج إيران، بما في ذلك بناء التنظيمات الوكيلة والتنظيمات "الإرهابية" وجمع المعلومات الاستخبارية والسياسية واللوجستية السرية وتنفيذ العمليات مباشرة. عميات "قوة القدس" تمتد من الجبهة الاستراتيجية في إيران، مرورًا بالمناطق الوسطى والجبهة اللوجستية القريبة، ووصولًا إلى ساحات استخدام قوة الوكلاء. قائد "قوة القدس" ورغم خضوعه إلى قيادة الحرس الثوري؛ إلا أنه (قاسم سليماني) وبشكل شخصي يتمتع بالوصول المباشر مع الزعيم الإيراني واحترام شعبي واسع وبحرية عمل ملحوظة وبتأثير كبير على صناعة القرارات في مجال السياسة الإيرانية، على الأقل في منطقتنا.

- الجبهة الاستراتيجية تزوّد المنظومة كلها بالموارد والمواد والمخططات والعمق السياسي والعلمي والصناعي العسكري الإيراني، التي تحتاج لإدارة المعركة: الأموال والبنية المعلوماتية والصناعات العسكرية، وبنى النقل المدني الخاصة بالبحر والبر والجو، وبنية تجارية وغطاء تجاري وإرشاد وتدريبات عسكرية، وكذلك بنية دينية/ روحانية لتأهيل القلوب.

المنطق في أساس هذه المنظومة متعلق بقدرتها على نسج وضخ وتوجيه موارد قوة عظمى إقليمية ثرية وكثيرة السكان إلى التنظيمات المحلية محدودة القدرات المادية، لكنها تمتلك دعمًا شعبيًا وسياسيًا محليًا وقربًا جغرافيًا من أعداء إيران. بالعمل الدائم والمستمر، تنجح إيران ببلورة عناصر محلية لتنظيمات عسكرية فاعلة على حدود أعدائها وتقويتها على الساحة السياسية المحلية واستخدامها ضد خصومها، وإيران تركز على بناء قوة الوكلاء وتوجيهها، بينما عبء استخدام القوة ودفع أثمانها يقع على عاتق هؤلاء الوكلاء؛ هكذا تدير إيران على مدار سنوات قتالًا غير مباشر وباتجاه واحد ضد أعدائها بأثمان زهيدة بالنسبة لها، رغم ان الثمن باهظ بالنسبة لوكلائها. وقت أحداث الحروب ورغم تآكل قوة الوكلاء وبيئتهم القتالية، لكن نظام ترميمها لا يتضرر؛ لذلك فهم مستعدون جيدًا لإعادة إنمائها مجددًا (إعادة هندستها) بعد المواجهات. نجاح الأسلوب الإيراني يقوم أيضًا على أساس قواعد لعب تفرضها إيران، والتي بناءً عليها تمتنع عن القتال المباشر ضد أعدائها، وهم من جانبهم يركزون على وكلائها: العربية السعودية تقاتل الحوثيين في اليمن، لكن ليس إيران، قوات التحالف والولايات المتحدة تكبدوا خسائر فادحة على أيدي وكلاء إيران في العراق وفي أفغانستان، لكنهم عمومًا امتنعوا عن الرد باتجاهها.

في العقود الأولى من حرب إيران الاستنزافية ضدها، أدارت إسرائيل عمليات ومعارك وحروب ضد وكلائها: حزب الله وحماس والجهاد الاسلامي في فلسطين، وبسبب الأضرار التي لحقت بهم على يديها هم وبيئاتهم، وخوفًا من التصعيد الواسع؛ قلص هؤلاء

بالتدريج الاحتكاك العسكري الدائم معها. في العقد الأخير عملت إسرائيل في مساحة الجبهة اللوجستية القريبة، وفي المناطق الوسطى ضد إرساليات السلاح في طريقها من الجبهة الاستراتيجية في إيران إلى الساحات التنفيذية في غزة ولبنان. إسرائيل وسّعت عملياتها أيضًا لتشمل ممتلكات المستضيفين مثل حكم حماس في غزة (كمضيف للجهاد الإسلامي، وفي ذات الوقت وكيل من خلال جناحها العسكري)، والجيش السوري في يناير 2015، في حالة وحيدة واستثنائية حتى عامنا هذا؛ هاجمت إسرائيل جنرالًا إيرانيًا بشكل مباشر وقت قيامه بجولة مع نشطاء حزب الله في جبهة هضبة الجولان. في رد على التحدي الإيراني الجامع (النووي وحرب الوكلاء)، برزت سياسة إسرائيل ضد النووي الإيراني والعمليات العدوانية ضد إرساليات السلاح المتطور إلى حزب الله وإلى حماس، وإحباط "الإرهاب" والهجوم الموضعي بشخصيات هامة في مجالات النووي و"الإرهاب" وتعزيز القوة والقتال المباشر لوكلاء إيران، بما في ذلك عمليات واسعة كل بضع سنوات. الردع الذي أوجد في اعقاب المواجهات أسهم في الهدوء المستمر، لكنه لم يلجم تعزيز قوة العدو، ولم يحل استمرار تهديداته ونموه على حدود إسرائيل.

بتفحص السياسة في وقت لاحق، إعطاء الأفضلية الأولى لإحباط النووي كان خيارًا حكيمًا، ومحاربة إسرائيل لوكلاء إيران الذين هاجموها كان ضروريًا. مع ذلك، تسلح وكلاء إيران المتكرر وتقويهم ما بين المواجهات يشير إلى الفجوات في الاستجابة للتحدي. سياسة إسرائيل الحالية في سوريا دليل على استيعاب بعض تلك الفجوات في أوساط قادتها، وكذلك أيضًا دليل على تشخيص الظروف الخاصة التي سمحت لها بحرية التحرك بشكل أوسع من الماضي.

(2017 – 2018) ما الذي تغير؟

في الحرب الأهلية في سوريا، استثمرت إيران قوات وموارد كثيرة، ولعبت دورًا مركزيا في بقاء نظام الأسد. منذ بدء الحرب في سوريا، انتهجت إسرائيل سياسة عدم التدخل، إلى جانب فرض ثلاثة خطوط حمراء: مهاجمة إسرائيل، نقل السلاح الكيماوي لأيدي جهات "إرهابية" ونقل السلاح المتطور إلى حزب الله.

نهاية 2017، ركز النظام وداعموه على خطوات الإخضاع وفرض اتفاقيات "المصالحة" على المتمردين. في المقابل، ظهرت علامات سياسة إيرانية جديدة أيضًا اعتمدت مجهودات التمركز العسكري في سوريا من خلال الميليشيات الشيعية والبنى اللوجستية والممتلكات العسكرية الإيرانية العملانية كبنى تحتية مستقبلية؛ في ظل هذا التطور تغيّر أيضًا منظور التهديد في إسرائيل.

تتصدر نظرية إسرائيل الحديثة دروس المواجهات مع حزب الله وحماس، مع التأكيد على الفجوات في الرد على تعزيز القوة. الفجوة المستمرة في الرد على تقوّي حزب الله متعدد السنوات أسهمت في انتشار التهديد العسكري التقليدي الأساسي على إسرائيل اليوم في لبنان، هذا التهديد يحد من حرية تحرك إسرائيل ضد تقوّيه على الأرض اللبنانية، كذلك يلقي بظلاله على اعتبارات تحركها أمام النووي الإيراني.

شخصت إسرائيل توجه إيران لبناء ساحة عمل تنفيذية أخرى على حدودها الشمالية في سوريا، بحيث سيتحرك من خلالها وكلاء تابعين لها من الميليشيات السورية والعراقية والأفغانية والباكستانية، ومن حزب الله اللبناني طبعًا، برعاية نظام الأسد. مسؤولون إسرائيليون عملوا على تكريس خط أحمر جديد في سياستها: منع تمركز إيران في سوريا، حتى إنهم توجهوا للولايات المتحدة وروسيا من أجل منع حدوث ذلك، وإبعاد إيران ووكلائها عن الحدود في هضبة الجولان. وحيث لم يُستجب لهذا التوجه وظهرت في الإعلام الدولي نشرات عن بنى عسكرية إيرانية في سوريا؛ فقد بدأت إسرائيل بمهاجمة مواقع إيرانية في سوريا. في 10 فبراير، أطلقت "قوة القدس" طائرة غير مأهولة من سوريا إلى إسرائيل، وهاجمت إسرائيل أهدافًا إيرانية وسورية؛ منذ ذلك اليوم الملحمي هاجمت إسرائيل مرة تلو الأخرى منظومات السلاح ورجال الجيش الإيراني في سوريا، وحاولت هي بالتالي مرة تلو أخرى الانتقام منها بهجمات من قبلها. في 10 مايو، أطلقت إيران صواريخ باتجاه إسرائيل، لترد الأخيرة بمهاجمة عشرات الأهداف الإيرانية في سوريا، رئيس الحكومة الإسرائيلية أبدى التزامه بمواصلة منع تمركز إيران في سوريا وتحويل السلاح المتطور إلى حزب الله.

في نهاية مايو، أبلغ عن اتفاق محتمل برعاية روسيا بشأن إبعاد القوات الإيرانية ووكلائها عن الحدود الإسرائيلية، وإن ليس من سوريا كلها. رغم ان هذه ليست نهاية حتمية إلا أنه يمكن الآن تشخيص تغير السياسة الإسرائيلية تجاه حرب الوكلاء الإيرانيين: استعدادات متزايدة من جانب إسرائيل للمبادرة، ومهاجمة القدرات الإيرانية عند ظهورها على الساحة وقبل ان تنضج لتشكل تهديدًا خطيرًا، وليس أقل من ذلك استعدادها لمهاجمة القوات الإيرانية على الجبهة بشكل مباشر، وتعرية تدخلها وأساليب عملها علانية. لا شك بأن دعم الإدارة الأمريكية والتفاهمات مع روسيا هي مكون مهم في مساحة العمل الكبيرة التي شخصتها إسرائيل للعمل في الوقت الحالي.

سلسلة الأحداث على جبهة حرب الوكلاء في سوريا حدثت على خلفية تطور مهم أيضًا على جبهة التهديد النووي، ففي منتصف مايو انسحبت الولايات المتحدة من الاتفاق النووي مع إيران، وقدمت قائمة طويلة من المطالب للنظام الإيراني في مجالات النووي والصواريخ و"الإرهاب" والنفوذ الإقليمي. بعد عقود من سياسة تفرق بين الملف النووي

والملفات الأخرى تظهر علامات احتمال انتهاج سياسة مدرجة، وذلك في ظل سياسة الولايات المتحدة التي تعتبر التهديد الإيراني بجميع تفاصيله، على ضوء مستوى التنسيق العالي بين الإدارة وبين الحكومة الإسرائيلية، وعلى ضوء التقارب بين أزمة الاتفاق النووي وبين صدام إسرائيل وإيران وسوريا. بين هذا الاحتمال وبين تصميم سياسة الولايات المتحدة المتسقة الشاملة وسياسة شركاء آخرين وإسرائيل؛ ما يزال هناك مسافة كبيرة. تعقد التحدي وكثرة اللاعبين وخصائص إدارة ترامب الاستثنائية والقضايا العاجلة الكثيرة التي تقف ببابه؛ جميعها تمثل عقبات أمام هذه النتيجة المرجوة، وما زال من المبكر الحكم على مسار الأمور.

سياسة إسرائيل: نظرة إلى الوراء

ميزان إنجازات إسرائيل وتحدياتها في الحرب الطويلة في مواجهة حرب الوكلاء الإيرانية بحاجة إلى مواءمات وتفكير متجدد وجسر الفجوات في نظرية الرد. أغلب الفجوات تنبع من التفكير "المتفكك" في كل واحد من مكونات المشكلة على انفراد، ومن اللعب في الملعب الذي صممته إيران، ومن الاختيار غير الضروري بين خياريْن لا يستبعد أحدهما الآخر في حقيقة الأمر.

أولًا: إسرائيل ركزت بشكل استثنائي تقريبًا على الموضوع النووي، وكرست جهدًا غير كافٍ لتحدي الوكلاء.

ثانيًا: ما بين الحروب، يجمع العدو أغلبية إنجازاته في بناء تهديد إسرائيل للجولة القادمة، بينما استثمرت إسرائيل غالبية الموارد في حروبها ومجهود منخفض إلى حد كبير جدًا في الحرب الطويلة بينها.

ثالثًا: إسرائيل استثمرت معظم مواردها في الوكلاء، رأس الحربة القريب منها، غير أنها لم توفر استجابة مناسبة لبناء منظومة العدو والمنطق في تأسيسها؛ استجابة تقلقل مراكز الثقل الحيوية فيها، الأمر الذي سيضعف الحربة كلها ويمس كذلك باليد التي تحملها.

سياسة أمنية نوصي بها إسرائيل في مواجهة التهديد الإيراني

كردٍ على التهديد الإيراني في كلا جناحيه، المطلوب من إسرائيل خوض معركة متعددة المستويات، متكاملة ومتواصلة، وفق المبادئ الموصوفة فيما يلي ("ر. ع. م" متكاملة

عميقة ومتوازية)، هذه الحرب لها هدف أعلى واحد، ويجب خوضها باستمرار، سواء وقت المواجهات الشديدة (الحروب والعمليات واسعة النطاق) أو بينها مع الجمع بين أدوات القوة الوطنية التي تمتلكها إسرائيل. فيما يلي وصف لمقترح هدف استراتيجي ومبادئ للفكرة الحربية واتجاهات التحرك بمقتضاهما.

الهدف الاستراتيجي

اختبار إسرائيل الأكبر في الحرب مع إيران ووكلائها هو ضمان الوجود والأمن والازدهار الاقتصادي والثقافي والعلمي والاجتماعي في دولة إسرائيل ومواطنيها رغم مجهودات أعدائها؛ من أجل ذلك عليها أن تثبت لهم بأنهم لن يستطيعوا على الإطلاق ان يهزموها بالقوة، وأنه لا فرصة للاستمرار في مجهودهم للقضاء عليها ومحاربتها، حيث ينطوي على أثمان باهظة لا يمكنهم تحملها؛ لذلك فالأفضل لهم التراجع عن مجهوداتهم (الجدار الفولاذي).

إذا توصل أعداء إسرائيل إلى الاستنتاج بأنه من الممكن إقامة علاقات سلام معها والعيش بجوارها فهذا جيد. إلى حين ذلك، تكتفي إسرائيل بعدم القتال وتأجيل المواجهات وإبعاد المسافات بينها من خلال اللجم والردع، وتقليص أثمان المواجهات من خلال قصرها ومن خلال المساس بتقوّي العدو قبل وقوعها.

في المجال النووي، على إسرائيل ان تتمسك بهدف منع امتلاك إيران للسلاح النووي من خلال إبعادها قدر ما أمكن عن حافة تحقيق هذه القدرة.

في المقابل، من الصواب أن تترك إسرائيل فتحة لتحول استراتيجي آخر في علاقاتها مع إيران على المدى البعيد، تحول إيجابي في الواقع لا يُنظر إليه اليوم (هل كان من الممكن تخيل اتفاق السلام مع مصر؟)، وذلك بذكر عمق العلاقات مع إيران قبل الثورة الإسلامية، ومن دون التنصل إطلاقًا من تعهد نظام رجال الدين العميق والأصيل بتدميرها.

مبادئ استراتيجية الرد: الاستمرارية والعمق والتوازي ("ر. ع. م")

على ضوء استراتيجية الحرب المستمرة أمام إيران، ومن خلال فهم منطق أساس المنظومة المعادية وفجوات إسرائيل في المواجهة معها إلى يومنا هذا، تتبدى الاستراتيجية الحربية الجامعة المطلوبة إسرائيليًا من أجل مواجهة التهديد الإيراني بذراعيه ومبادئه: الاستمرارية والعمق والتوازي ("ر. ع. م").

الاستمرارية:

مبدأ الاستمرارية يستدعي النظر إلى المواجهة مع إيران ووكلائها كمنظومة واحدة مستمرة، حيث جهود إسرائيل في إطارها يجب أن تقدم هدفًا واحدًا، سواء في الحرب المستمرة (اليومية) أو الحروب والمواجهات العسكرية.

في الحرب المستمرة، المطلوب من إسرائيل أن تعمل على إبعاد إيران عن القدرة النووية قدر الإمكان، وبالتوازي تشويش نظام بناء القوة لدى وكلائها ومهاجمة تعزيز قوتهم وتدفيعهم، هم وهي، أثمانًا باهظة، وردع إيران ووكلائها عن المساس بها، واستبعاد المواجهات الكبرى قدر الإمكان، وفي ذات الوقت تهيئة ظروف الحرب بشكل جيد. الحرب المستمرة الناجحة تستدعي دعمًا متبادلًا بين المجهودات السياسية والمجهودات السرية غير المعلنة والعسكرية الهجومية والدفاعية والإعلامية المتواصلة مع العدو في عدة قنوات، وسيما من أجل السيطرة على التصعيد ومنع وقوع تقدير خاطئ والتزامن وتنسيق تحركات المستوى السياسي والأمني العسكري رفيع المستوى وتجنيد الدعم السياسي والاقتصادي والاستخباري من قبل الشركاء في المنطقة والمجتمع الدولي، وعلى رأسه الولايات المتحدة.

وقت الحروب والمواجهات العسكرية، على إسرائيل أن تركز بشكل أساس على إيقاع ضرر كبير للوكلاء العسكريين، من أجل تقليص احتمالية التهديد من جانبهم وردعهم عن المواجهة القادمة. في وقت الحروب، عليها أن توجّه المجهود أيضًا إلى تقديم أهداف حرب ما بين الحروب "مبام" المتجددة فور انتهائها، وبالتالي إطالة مواصلة ترميم أعدائها العسكري قدر الإمكان، وذلك من خلال المساس بأصول النمو في ساحات القتال والجبهة الداخلية اللوجستية القريبة ومنظومات بناء قوة النظام الخصم في ساحة القتال كلها.

العمق:

مبدأ العمل في العمق يلزم إسرائيل بأن تبذل مجهوداتها في مواجهة جميع مكونات نظام العدو العاملة ضدها على ثلاثة مستويات: الجغرافي والوظيفي والزمني.

المستوى الجغرافي تمتد فيه الحرب لاستنزاف إسرائيل من إيران، مرورًا بالمناطق الوسطى في البحر والبر والجو والانترنت، ووصولًا إلى الجبهات القريبة من إسرائيل في لبنان وغزة والضفة الغربية وفي سوريا. من السهل على إسرائيل العمل في الساحات التشغيلية التي تحدها وفي الجبهة الداخلية اللوجستية القريبة منها، ولغرض الاستجابة النظامية التامة مطلوبٌ من إسرائيل أن تبني قدرة على العمل المتواصل في جميع المناطق

الموصوفة أعلاه، حتى وإن كانت التحديات الاستخباراتية والتنفيذية واللوجستية متزايدة كلما ابتعدت عن إسرائيل باتجاه المناطق المتوسطة الأكثر بعدًا، ناهيك عن إيران نفسها.

على المستوى الوظيفي؛ تكثر إسرائيل التحرك في مواجهة الوكلاء العسكريين، بل وحتى ضد السلطات المضيفة على الأغلب كردٍ على استخدام القوة من أراضيهم. مع ذلك، ورغم فهمها لبناء المنظومة المعادية، تمتنع إسرائيل عمومًا عن العمل ضد الجبهة الداخلية الاستراتيجية في إيران، بهدف منع حدوث التصعيد الواسع، وحتى الفترة الأخيرة قللت أيضًا العمل المباشر ضد المنظومة البانية للوكلاء، وقد برزت الخطوات الأولى بشكل أساس بمهاجمة المواقع المستهلكة، بينما الاستعداد للمساس بالمقاتلين الإيرانيين برز بشكل أساس في فبراير 2018. على إسرائيل أن توائم المنطق الموجه لمحاربتها لبناء النظام المعادي واستراتيجية تحركه ومواجهة جميع أعدائها من الجبهة الداخلية الاستراتيجية، مرورًا بالنظام الباني للوكلاء، ووصولًا إلى الجيوش الوكيلة في قواعد قواتهم المحلية والمحيط المضيف.

على مستوى الوقت؛ على إسرائيل أن تواصل العمل على تقليص إمكانية وقوع التهديد والسبق للعمل ضده قبل ان يتحول إلى تهديد واضح ومباشر، الأسلوب النابع من ذلك هو العمل في "أعلى التيار" قبل ان تقترب التهديدات من حدودنا، منطق هذا التحرك ينطوي على تحمل المخاطر المبكرة والمدروسة من أجل منع انتشار المخاطر الجدية فيما بعد، ويقف في توتر مع مخاطر التصعيد مع الميل الإنساني المفهوم إلى تأجيل القرارات الصعبة، وكذلك مع النظرية السياسية والقضائية المقبولة في الغرب، والتي تبرر استخدام القوة كمرجع أخير فقط وضد تهديد واضح ومباشر فقط. خلق مساحة تحرك من هذا النوع لإسرائيل يستدعي تجنيد دعم سياسي كبير من خلال إيجاد حالة من العلاقات الممتازة مع إدارة ترامب ومع بوتين من جانب، وقاعدة المصالح المشتركة والواسعة في المنطقة في ظل التهديد الإيراني من الجانب الآخر.

التوازي: هذا وذاك

في ظل انعكاسات حرب الوكلاء التي تديرها إيران بالتوازي مع المشروع النووي، فالتقدم الاستثنائي في الملف النووي هو خطأ. تفسير واحد لحدوث ذلك نابع من تأطير خاطئ ثنائي واصطناعي لمواجهة جزئي التهديد "إما محاربة النووي أو محاربة تأثير إيران السلبي"، في بعض الأحيان وبسبب اعتبارات نقص الموارد الكافية لمواجهة قوية كبيرة مع كليهما، الخروج من الطريق المسدود النظري يكمن في الفهم بأنه وطوال الوقت يجب تفضيل أسلوب "هذا وذاك" على أسلوب "إما وإما". في ضوء جمع جهود إيران بين

النووي وحرب الوكلاء وتعاضدهما، ليس من الصواب محاربة النووي فقط وإهمال الجناح التقليدي الداعم له، استراتيجية إيران المتوازية تلزم إسرائيل ببلورة استراتيجية متوازية هي الأخرى ضد النووي وضد معركة استنزاف إسرائيل من خلال إعطاء الأولوية للأولى واستجابة كافية للثانية، والسعي للتآزر والإسهام المتبادل بين الاثنتين.

استراتيجية "ر. ع. م" انتهت في الواقع

على المستوى السياسي الاستراتيجي، وباندلاع مواجهة كبيرة، على إسرائيل ان تسعى لإنهائها في وضع استراتيجي جيد بالنسبة لها، تكون أبرز تعبيراتها: إضعاف كبير لأعدائها المباشرين وداعميهم من الناحية العسكرية والسياسية، والمساس بمواردهم وردعهم، وتقليص مساحة تحركهم في مواجهتها، وتكلفة معقولة ومنخفضة لإسرائيل قدر ما أمكن في الارواح والممتلكات في الحرب وما بعدها، والإعمار، وعودة سريعة قدر ما أمكن للاقتصاد، والمجتمع في إسرائيل إلى الروتين والازدهار، وإعاقة تعزيز قوة أعدائها مجددًا وإطالة مدة ترميمهم عسكريًا قدر ما أمكن، والدعم الإقليمي السياسي الواسع لإسرائيل، واستخراج وتسخير مجهوداتها بالتعاون بعد الحرب وموقف متفوق لأعداء أعدائنا المحليين والإقليميين والدوليين، والإبقاء على مساحة تحرك إسرائيل بعد الحرب وتوسيعها قدر الإمكان.

في المواجهات القادمة، وعلى ضوء بناء نظام العدو المقاتل ضدها، ستكون إسرائيل بحاجة إلى دراسة توسيع حدود الحرب خارج الجبهات التنفيذية القريبة، إلى جبهات أخرى وإلى العمق أيضًا، والمساس ليس فقط بالوكلاء المقاتلين؛ وإنما المساس بحكم المضيف أيضًا وبالجبهة الداخلية اللوجستية القريبة والنظام الباني للوكلاء، وعند الحاجة المساس حتى بجبهة إيران الداخلية الاستراتيجية؛ هكذا في المواجهة مع حزب الله يمكن أن تتضرر الحكومة اللبنانية ونظام الأسد وعناصر القوة والممتلكات الإيرانية في الساحات القريبة والمصانع ومخازن السلاح، بل وحتى أهداف في إيران نفسها. هذه الاستراتيجية، ورغم أنها تنطوي على تحديات ومخاطر كثيرة؛ لكن إلى جانب ذلك هناك مزايا محتملة كبيرة:

- قبل الحرب: ستضطر إيران لأن تأخذ بعين الاعتبار أن حروب الوكلاء مع إسرائيل (والتي كانت في الماضي مواجهات محلية وبعيدة عن حدودها) قد تجبي أثمانًا باهظة ومباشرة منها أيضًا. اعتبار مشابه قد يقف أيضًا أمام أعين السلطات المضيفة في دمشق وبيروت، وقد يحقق تأثيرًا رادعًا ومقيدًا يساعد باستمرار في توسيع الردع في المنطقة واستبعاد الحروب عن حدود إسرائيل.

- أثناء الحرب: من شأن توسيع حدودها أن يسرّع تدخل لاعبين إقليميين ودوليين، وبالتالي اعتماد آلية إنهاء القتال.

- بعد الحرب: من شأن القتال بمنطق كهذا أن يسمح بنقطة بداية أفضل لإبطاء ترميم وتقوي الأعداء، ويساعد في ترتيبات أمنية محسنة.

بطبيعة الأمور، سيكون من الصواب تحديد خطوات الحرب عمليًا في يوم وقوعها، بعد أن ندرس معمقًا ميزان المخاطر والجدوى والبدائل في هذا السياق الفريد.

في الحرب المستمرة ما بين الحروب، على إسرائيل ان تعمل بالجمع بين الجهود السياسية والاستخبارية والسرية وغير المعلنة والعسكرية في عمق منظومة الاستنزاف الإيرانية بجميع مكوناتها. نطاق التحرك واستمراريته وتعقده وتكلفته يلزم إسرائيل بالعمل بالتعاون الوثيق مع شركاء من العالم، وعلى رأسهم الولايات المتحدة، وأيضًا من المنطقة، حيث يتقاسم الكثيرون فيها مع إسرائيل قلقها من ذراعيْ التهديد الإيراني. تجميع الموارد والتعاون سيسمح بخوض الحرب بالتوازي، سواء ضد النووي او ضد الاستنزاف و"الإرهاب والتخريب" من خلال الوكلاء، تحدي سياسة كبير في الفترة القريبة هو تحدي تصميم سياسة إسرائيلية منهجية متسقة ومتكاملة في مواجهة مستوييْ التهديد الإيراني وتنسيقها الوثيق مع الولايات المتحدة.

على ضوء فهم منطق العدو وفهم المنظومة التي يستخدمها ضد إسرائيل، تتضح كذلك الفجوة الرئيسية في الرد الذي قدمته حتى الفترة الأخيرة، جزء من المشكلة هو أن إسرائيل قبلت حتى وقت قريب حدود الملعب الذي صممته إيران وقواعد اللعب التي وضعتها، والتي في إطارها الوكلاء هم وقود مستهلك للمدافع، بينما الباعثين لهم يتمتعون بالحصانة. في المنظومة الإيرانية المقاتلة لإسرائيل هناك مركز ثقل حيوي: النظام الباني للوكلاء وارسالهم. حتى الفترة الأخيرة، امتنعت إسرائيل تقريبًا عن المساس بأغلى ممتلكاتها: برجالها. في الحروب المستمرة، يقف الطرفان أمام اختبار الإصرار، ولكن ليس أقل من ذلك في سباق التعلم والتكيف وتحديث فهمهما وسياستهما، لا يجب الافتراض بأن إيران ستتراجع عن جهودها بسبب الضربات التي تلقتها في سوريا، ولذلك على إسرائيل الاستعداد لما هو آت.

سياسة مستحدثة وحديثة تتناسب مع حجم التحدي المتطور الذي تضعه إيران في محيط متغير، ستصمم ساحة مواجهة وقواعد لعب تعمل لصالح إسرائيل، وأخيرًا "القطعة المفقودة" في الدفاع الإسرائيلي بمواجهة حرب الوكلاء التي تديرها إيران تختبئ أمام أعين الجميع وتستدعي استجابة مناسبة خارج حدود سوريا. رد إسرائيل على حرب الوكلاء يجب ان يضع هدفًا رئيسيًا له "قوة القدس"، والتي سميت باسم عاصمتها.

ترجمة ونشر

مركز أطلس للدراسات الإسرائيلية

Atlas Center For Israeli Studies

Website: www.atls.ps

Email: atlas.ps@hotmail.com

Facebook.com/atlas.ps1

Tel. : 0097082834064

Mobile: 00970592826767

جميع الحقوق محفوظة

أغسطس 2018